أسهل المسالك نظم المسالك

للعَالم الأديب المفتي

الطالب أحمد بن الدِّيدَّ الجُمَّاني

الشِّنْقِيطيِّ

ت ١٤٢٣هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْـــداً لِمَـــنْ هَـــدَى إِلِى الإِسْـــلاَمِ مَـــنْ خَصَّـــهُ بِـــهِ مِـــن الأَنَامِ
صَـــلَّى صَـــلاَةَ رَحْمَـــةٍ وَسَـــلَّمَا عَلَـــى الـــذِي بَعَثَـــهُ مُعَلِّمَـــا
مُحَمَّـــــدٍ وَصَـــــحْبِهِ وَالآَلِ تَعَاقُـــــبَ الأَيَامِ وَاللَّيَـــــالِي
وَاللهَ أَرْجُـــوا أن يَّكُـــونَ نَظْمِـــي سَـــهْلاً وَنَافِعـــاً لأَهْـــلِ الْعِلْـــمِ
وَاجْعَلَـــهُ خَالِصـــاً لِوَجْهِـــكَ الْكَـــرِيمِ وَهَـــادِياً إِلى الصِّـــرَاطِ الْمُسْـــتَقِيمْ
وَاسْـــلُكْ بِنَـــا مَسَـــالِكَ النَّجَـــاةِ مِـــنْ سَـــائِرِ الْعِلِـــلِ وَالآفَـــاتِ
هَـــذَا وَلَمَّـــا كَـــانَ جُـــلُّ النَّـــاسِ يَسْتَصْـــعِبُ الْجُـــلَّ مِـــن الْقِيَـــاسِ
لاَسِـــيما منـــهُ مَسَـــالِكُ الْعِلَـــلْ حَيْـــثُ يَرَاهَـــا كَالصُّـــعُودِ فِي الْجَبَـــلْ
أَرَدْتُ أَنْ أَفْـــتَحَ كُـــلَّ مُغْلَـــقِ أَمَـــامَ كُـــلِّ صَـــاعِدٍ وَمُرْتَقِـــي
بِالـــنَّظْمِ كَـــيْ يَسْـــعَدَ بِالْوُصُـــولِ إِلَى سَمَـــاء الْفِقْـــهِ وَالأُصُـــولِ
سَمَيْتُـــهُ بِأَسْـــهَلِ الْمَسَـــالِكْ لِمُبْتَغِـــي الْعِلَـــلِ وَالْمَسَـــالِكْ
فَقُلْـــتُ رَاجِيـــاً مِـــن الْقَـــدِيرِ فَتْحـــاً مُبِينـــاً دَائِـــمَ التَّيْسِـــيرِ
مَسَـــالِكُ الْعِلَّـــةِ يَا أَقْـــوَامِي عَـــدَدُهَا عَشْـــرٌ مِـــن الأَقْسَـــامِ
وَيُعْـــرَفُ الْمَسْـــلَكُ (لِلْحُكَّـــامِ) بِكَونِـــهِ العِلَّـــةَ(لِلأَحْكَـــامِ)

المسْلكُ الأولُ

أَوَّلُهَـــا الإِجْمَـــاعُ كالإِجْمَـــاعِ عَلَـــى الـــذِي وَرَدَ فِي السَّـــمَاعِ
فِيمَـــا رُوِي مَعْـــنىً بِـــلاَ الْتِبَـــاسِ لاَ يَحْكُـــمُ الْغَضْـــبَانُ بَـــيْنَ النَّـــاسِ

عِلَّتُـــــهُ التَّشْـــــوِيشُ للأَفْكَـــــارِ وَذَا الْحَـــدِيثُ جَـــاءَ فِي الْبُخَـــارِي

المسلك الثاني

وَثَانِيهـــا الـــنَّصُّ صَـــرِيحاً أَوْ لاَ فَـــأَوَّلٌ كَمَـــا يَقُـــولُ الْمَـــوْلَى

مـــنْ أجْـــلِ ذَلِـــكَ وَفِي الأَخْبَـــارِ حَـــدِيثُ الاِسْـــتِئْذَانِ فِي الأَبْصَـــارِ

فَمَـــا عَلَـــى الضَّـــرِيرِ حَيْثمَـــا وَلَجْ مِـنْ دُونِ الاِسْـتِئْذَانِ شَـرْعاً مِـنْ حَـرَجْ

وَالثَّـــانِي حَظْـــلُ طَيِّـــبٍ ذِي طَعْـــمِ عَلَـــى الأُولَى هَـــادُوا لأَجْـــلِ الظُّلْـــمِ

المسلك الثالث

وَالثَّالِـــثُ الإِيمَـــاءُ مِ الأَقْسَـــامِ وَهْـــوَ اقْـــتِرَانُ الْوَصْـــفِ بِالأَحْكَـــامِ

وَفِي اقْـــتِرَانِ الْوَصْـــفِ بِالنَّظِـــيرِ بِغَـــيْرِ مَـــا يُخِـــلُّ بِالتَّعْبِـــيرِ

كَقَـوْلِ خَـيْرِ النَّـاسِ لِلَّـذِي اسْـتَبَانْ مِنْـــهُ الْوِقَـــاعُ فِي نَهَـــارِ رَمَضَـــانْ

أَعْتِـــقْ وَفِي اقْـــتِرَانِ ذَا الْوِقَـــاعِ بِالْعِتْـــقِ مَعْنـــاً يَسْـــرِي فِي الطِّبَـــاعِ

لَـــوْ لَمْ يَـــكُ الْوِقَـــاعُ عِلَّـــةً لَمَـــا كَـــانَ بَلِيغـــاً ذَا الْمَقَـــالُ الْمُعْتَمَـــى

المسلك الرابع (السبر والتقسيم)

وَالسَّـبْرُ وَالتَّقْسِـيمُ حَصْـرُ الْمُجْتَهِـدْ الأَوْصَـافَ أَعْـنِي كُـلَّ مَـا مِنْهَـا وُجِـدْ

فِي فَهْمِـــهِ الثَّاقِـــبِ فِي الْمَقِـــيسِ عَلَيْـــهِ خَـــوفَ الْـــوَهْمِ وَالتَّلْبِـــيسِ

كَـــالطَّعْمِ فِي الـــبُرِّ والاِقْتِيَـــاتِ وَالاِدِّخَـــارِ والـــذِي سَـــيَأْتِي

كَالْكَيْـــلِ والنَّفْـــعِ وكَالْمَالِيَـــةِ فَهَـــذِهِ عِلَـــلُ قَـــيْسِ الـــذُّرَةِ

فِي حُرْمَـــةِ الـــرِّبَا بِمَعْـــنَى الْفَضْـــلِ فَنَسْـــأَلُ الْمَـــوْلَى جَزِيـــلَ الْفَضْـــلِ

وَكُـــلُّ مَـــا مِـــنْ عِلَّـــةٍ لاَ يَطَّـــرِدْ فَمَالِـــكٌ بِوَصْـــفِهِ كَمُجْتَهِـــدْ

يُلْغِـــي اعْتِبَـــارَهُ كَمَـــا يُقَـــالُ لأَِنَّ مِلِـــئَ الْكَـــفِّ لاَ يُكَـــالُ

فَحُرْمَـــةُ الـــرِّبَا بِمِـــلْءِ الْكَـــفِّ لَدَيْـــهِ الاِقْتِيَـــاتُ دُونَ خُلْـــفِ

وَالنَّفْـــعُ والتَّمْوِيـــلُ لَـــنْ يَنْعَكِسَـــا قَـــطُّ مَـــعَ الْحُكْـــمِ فَـــرَاعِ الأُسُسَـــا

وَانْـــفِ الـــرِّبَا مَـــعَ وُجُـــودِ النَّفْـــعِ فِي الْمَـــالِ وَالْعَـــرْضِ بِحُكْـــمِ الشَّـــرْعِ

المسلك الخامس (تخريج المناط)

ثُمَّـــةَ تَخْـــرِيجُ الْمَنَـــاطِ وَاشْـــتَهَرْ أَن يَحْكُـــمَ الشَّـــارِعُ فِي عَـــيْنِ الصُّـــورْ

مَـــعَ اقْـــتِرَانِ الْحُكْـــمِ بِالْوَصْـــفِ وَلاَ يُبِـــينُ عِلِّيَتَـــهُ فِيمَـــا انْجَلَـــى

فَيَبْحَـــثُ الْمُجْتَهِـــدُ الْمُـــدَقِّقُ عَنْهَـــا إِلَى انْتِهَـــاءِ مَـــا يُحَقِّـــقُ

مِثَالُـــهُ فِيمَـــا رَوَاهُ مُسْـــلِمُ فَكُـــلُّ مُسْـــكِرٍ عَلَيْنَـــا يَحْـــرُمُ

أَمَـــا تَـــرَى الشَّـــارِعَ فِي التَّعْمِـــيمِ قَـــدْ قَـــرَنَ الإِسْـــكَارَ بِالتَّحْـــرِيمِ

وَلَمْ يُبَـــيِّنْ كَوْنَـــهُ عِلَّتَـــهُ لَكِـــنْ ذُو الاِجْتِهَـــادِ قَـــدْ أَثْبَتَـــهُ

لِكَوْنِـــهِ لَمَّـــا أَزَالَ الْعَقْـــلاَ أَصْـــبَحَ تَخْـــرِيجُ الْمَنَـــاطِ سَـــهْلاَ

المسلك السادس(الشبه)

وَالشَّـبَهُ الشَّـيْءُ الـذِي جَمَعْـتَ فِيـهْ بَـيْنَ الْمَقِـيسِ والـذِي قِـيسَ عَلَيْـهْ

قَـــيْسُ الدَّلاَلَـــةِ مِثَالُـــهُ نُمِـــي كَقَيْسِـــكَ الْوُضُـــوءَ بِالتَّـــيَمُّمِ

أَعْـــنِي بِـــذَلِكَ وُجُـــوبَ النِّيَـــةِ بِجَـــامِعِ الْقُرْبَـــةِ وَالطَّهَـــارَةِ

وَلاَ تُنَاسِبُ ذِهِ بِحَالَةِ لَدَى الأُصُولِيّ وُجُوبَ النِّيَةِ
لَكِنَّهَا تَسْتَلْزِمُ التَّقَرُّبَا وَذَا مُنَاسِبٌ لِقَصْدٍ وَجَبَا
وَعُدَّ مِنْ أَقْسَامِهِ قِيَاسُ غَلَبَةِ الأَشْبَاهِ وَالأَكْيَاسُ
تَصِفُهُ بِأَنَّهُ تَرَدُّدُ فَرْعٍ إِلى أَصْلَيْنِ والْمُجْتَهِدُ
يَقْضِي بِحَمْلِ كُلِّ مَا قَدْ ضَعُفَا شِبْهاً عَلى قَوِيِّهِ فَلْتَعْرِفَا
مِثَالُهُ إِلْحَاقُكَ الرَّقِيقَا بِالْمَالِ فِي قِيمَتِهِ تَحْقِيقَا
فِي قَتْلِهِ لأَنَّهُ بِالْمَالِ أَكْثَرُ شِبْهاً عِنْدَ ذِي الأَنْقَالِ
مِنْ شِبْهِهِ بِالْحُرِّ فِي الأَحْكَامِ وَفِي صِفَاتِهِ لَدَى الأَعْلاَمِ
لِكَوْنِهِ فِي الْحُكْمِ قَدْ يُعَارُ وَقَدْ يُبَاعُ قَالَ ذَا الأَخْيَارُ
وَإِن نَّظَرْتَ فِي الصِّفَاتِ وَالشِّيَمْ تَحْكُمْ عَلَيْهِ بِتَفَاوُتِ الْقِيَمْ
جَوْدَةِ الأَوْصَافِ وَالرَّدَاءَةِ وَكَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالدَّنَاءَةِ
وَيُشْبِهُ الأَحْرَارَ فِي الْخِطَابِ وَالْكَسْبِ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ
لِذَاكَ كَانَ شِبْهُهُ بِالْمَالِ أَقْوَى مِن الْحُرِّ فِي ذَا الْمِثَالِ
وَالشَّبَهُ الصُّورِيُّ بِالنَّقُولِ ضُعِّفَ فِي مَذَاهِبِ الأُصُولِ
وَابْنُ عُلَيَّةَ يُجَوِّزُ الْعَمَلْ بِهِ لأَجْلِ الشَّبَهِ الذِي حَصَلْ
بَيْنَ الْمُشَبَّهِ وَمَا شُبِّهَ بِهْ مِنْ قُوَّةِ الشَّبَهِ فَافْهَمْ وَانْتَبِهْ
مِثَالُهُ قَيْسُ مَنِيِّ الْبَشَرِ بِالْمُخِّ مِنْ أَجْلِ اشْتِبَاهِ الصُّوَرِ

وَالْخَيْـلِ وَالْبِغَـالِ فِي نَفْـيِ الزَّكَـاةْ وَحُرْمَـةِ الأَكْـلِ لِأَجْـلِ الاِشْـتِبَاهْ
بِجَـامِعِ الْعِلَّـةِ فِي الْقِيَـاسِ وَلَـوْ ضَـعِيفاً عِنْـدَ جُـلِّ النَّـاسِ
هَـذَا وَمِمَّـا تَجْـدُرُ الإِشَـارَةْ إِلَيْـهِ فِي الأَشْـبَاهِ بِالْعِبَـارَةْ
أَنَّ الأُصُـولِيَّ لَـدَى الأَشْـبَاهِ لاَ يَعْـنِي بِـهِ تَمَـامَ شِـبْهٍ مُسْـجَلاَ
وَإِنَّمَـا يَقْصُـدُ أَلاَّ يُوجَـدُ شَـيْءٌ بِـذَا أَشْـبَهُ مِـنْ ذَا فَاهْتَـدُوا
مِثَالُـهُ لَمْ يُـرَ شَـيْءٌ فَـاعْلَمِ أَشْـبَهُ بِالْوُضُـو مِـن التَّـيَمُّمِ
لِـذَاكَ أُلْحِـقَ بِـهِ فِي الشَّـرْعِ وَالشَّـرْعُ فِي الأَحْكَـامِ حَتْمـاً مرْعِـي

المسلك السابع(الدوران الوجودي)

وَالـدَّوَرَانُ بِالْوُجُـودِ وَالْعَـدَمْ يُوصَـفُ عِنْـدَ مَـنْ بِالأَصْـلِ قَـدْ أَلَمْ
بِالطَّـرْدِ وَالْعَكْـسِ يُسَـمَّى عِنْـدَ مَـنْ يَعْـرِفُ ذَا الْفَـنَّ النَّفِـيسَ فَـاعْلَمَنْ
فَيُوجَـدُ الْحُكْـمُ مَـتَى الْوَصْـفُ وُجِـدْ وَيَنْتَفِـي مَـتَى انْتَفَـى فَلْتَسْـتَفِدْ
وَالْوَصْـفُ قَـدْ يَكُـونُ ذَا تَنَاسُـبِ لِلْحُكْـمِ أَوْ مُحْتَمِـل التَّنَاسُـبِ
وَهْـوَ لَـدَى الْجُمْهُـورِ حُجَّـةٌ تَبِـينْ ظَـاهِرَةً فِي صُـورَةٍ أَوْ صُـورَتَينْ
مِثَـالُ الأولِ عَصِـيرُ الْعِنَـبِ مُسْـكِرَهُ حَـرِّمْ وَإِلاَّ فَاشْـرَبِ
لأَنَّـهُ لِعَـدَمِ الإِسْـكَارِ قَـدْ حَـلَّ فِي شَـرِيعَةِ الْمُخْتَـارِ
وَالْحُكْـمُ مَـعْ عِلَّتِـهِ وُجُـودَا وَعَـدَماً دَارَ هُنَـا مَحْـدُودَا
وَالثَّـانِي وَهْـوَ الـدَّوَرَانُ الْجَـارِي فِي صُـورَتَيْنِ عِنْـدَ كُـلِّ دَارِ
كَـالْقَمْحِ وَالْكتَّـانِ فَـالرِّبَا وُجِـدْ فِي أَوَّلٍ للطَّعْـمِ وَالثَّـانِي فُقِـدْ

فِيـــهِ لِفَقْـــدِ الطَّعْـــمِ فِي الْكتَّـــانِ لِـــــذَاكَ فَـــــالْحُكْمُ لَـــــهُ دَوْرَانِ

دَوْرُ الْوُجُـــودِ لِوُجُـــودِ الْعِلَّـــةِ وَدَوْرُ الاِنْعِـــــــدَامِ بِالْكُلِّيَـــــــةِ

المسلك الثامن (الطرد)

وَالثَّـامِنُ الطَّـرْدُ وَيُـدْعَى الـدَّوَرانْ أَعْـنِي الْوُجُـودِيَّ فَقَـطْ فِي الاِقْـتِرَانْ

فَالْوَصْـفُ مَـا وَجَدْتَّـهُ فَـالْحُكْمُ ثَمْ وَلَـيْسَ يَنْعَـدِمُ كُلَّمَـا انْعَـدَمْ

حَيْـثُ يَكُـونُ الْوَصْـفُ لِلأَحْكَـامِ غَـيْرَ مُنَاسِـبٍ لَـدَى الأَقْـوَامِ

بِأَيِّ حَـــالٍ كَـــانَ لاَ بِالـــذَّاتِ وَلاَ بِتَـــابِعٍ لَـــدَى الثِّقَـــاتِ

وَهُـوَ مَـرْدُودٌ لَـدَى الْجُمْهُـورِ لِعَـــدَمِ التَّنَاسُـــبِ الْمَـــذْكُورِ

وَخَـالَفَ الأَحْنَـافُ فِي ذَا الْوَصْـفِ وَاعْتَـبَرُوا الـرِّبَا فِي مِلْـئِ الْكَـفِّ

فَـامْنَعْ رِبَا الْفَضْـلِ بِهَـذَا الْقَـدْرِ مِـن الطَّعَـامِ لِاغْتِنَـامِ الأَجْـرِ

المسلك التاسع (تنقيح المناط)

وَالْمَسْـلَكُ التَّاسِـعُ تَنْقِـيحُ الْمَنَـاطْ فَكُـنْ لَـدَى تَنْقِيحِـهِ أَخَـا انْضِـبَاطْ

إِن رَتَّبَ الشَّـارِعُ مَعْـنىً فِي خُصُـوصْ مَسْـأَلَةٍ مُثْبَتَـةٍ ضِـمْنَ نُصُـوصْ

فَيَطْـرِدُ الْمُجْتَهِـدُ الْمَعْـنَى الـذِي يخـصُّ عِـنْ ذَا الاِعْتِبَـارِ فَاحْتَـذِي

وَبَعْـدَ ذَلِـكَ يُنِـيطُ الْحُكْمَـا بِمَقْصَـدِ الشَّـرْعِ الـذِي قَـدْ عَمَّـا

أَعْـنِي الـذِي يَشْـمَلُ ذَاكَ الْمَعْـنَى وَغَـيْرَهُ مِمَّـا يُفِيـدُ الظَّنَّـا

فَالْقَصْـدُ مِـنْ فَـإِنْ أَتَـيْنَ الـرِّقُّ وإِنْ أَبَى إِدْخَـالَ ذَاكَ النُّطْـقُ

وَفِي الصَّـحِيحَينِ أَتَـى مَـنْ أَعْتَقَـا شِقصـاً لَـهُ فِي عَبْـدِهِ تَصَـدَّقَا

فَمَالِـــكٌ يَطْـــرِدُ ذِكْـــرَ الْعَبْـــدِ مُنِيطـــاً الْحُكْـــمَ بِـــذَا بِالْقَصَـــدْ
كَمَـــا بِآيَـــةِ الإِمَـــاءِ طَـــرَدَا خُصُوصَـــهُنَّ كَـــيْ يُبِـــينَ الْمَقْصَـــدَا

المسلك العاشر (تحقيق المناط)

والمَسْـــلَكُ الْعَاشِـــرُ بِانْضِـــبَاطِ يُعْـــرَفُ بِالتَّحْقِيـــقِ لِلْمَنَـــاطِ
وَهْـــوَ لَـــدَى تَعْرِيفِـــهِ الْحَقِيقِـــي أَنْ تجِـــدَ الْعِلَّـــةَ بِالتَّحْقِيـــقِ
أَيْ عِلَّـــةً مُتَّفَقـــاً فِي كَوْنِهَـــا عِلَّـــةَ أَصْـــلِ الْحُكْـــمِ فِي غُصُـــونِهَا
فَـــأَوْجَبُوا لِـــذَاكَ بِالنُّقُـــولِ أَنْ تُلْحَـــقَ الْفُـــرُوعُ بِالأُصُـــول
فَنَـــابِشُ الْقُبُـــورِ بَعْـــدَ الـــدَّفْنِ تُقْطَـــعُ كَفُّـــهُ بِأَخْـــذِ الْكَفْـــنِ
حَمْـــلاً لَـــهُ لِلْعِلَّـــةِ الْمُحَقَّقَـــةْ عَلَـــى الـــذِي حُـــدَّ لِأَجْـــلِ السَّـــرِقَةْ
فَسَـــارِقُ الأَمْـــوَالِ فِي خَفَـــاءِ مِـــنْ حِرْزِهَـــا لِلنَّهْـــبِ وَالْعَـــدَاءِ
تُقْطَـــعُ يُمْنَـــاهُ بِـــنَصِّ الشَّـــرْعِ وَالنَّهْـــبُ عِلَّـــةٌ لِـــذَاكَ الْقَطْـــعِ
وَلاَ خِـــلاَفَ بَـــيْنَ هَـــذِي الأُمَّـــةِ فِي نَصْـــرِهِمْ مَسْـــلَكَ هَـــذِي الْعِلَّـــةِ
وَفِي الضِّـــيَاءِ اللاَّمِـــعِ الْمُسَـــتدركِ تَعْلِيـــلٌ آخَـــرُ لِهَـــذَا الْمَسْـــلَكِ
فَإِنَّـــهُ حَسَـــبَ مَابِـــهِ اشْـــتَهَرْ إِثْبَـــاتُ عِلَّـــةٍ بِآحَـــادِ الصُّـــوَرْ
مِثَالُـــهُ تَحْقِيـــقُ وَصْـــفِ السَّـــرِقَةْ فِي نَابِـــشِ الْقَـــبْرِ لَـــدَى مَـــنْ حَقَّقَـــةْ
وَمِنْـــهُ تَقْـــدِيرُكَ لِلْمُقَـــدَّرَاتْ لِزَوْجَـــةٍ مِـــن نَّفَقَـــاتٍ وَاجِبَـــاتْ
وَعُـــدَّ مِـــنْ ذَا الأَرْشُ فِي الْجِنَايَـــةِ كَـــذَا جَـــزَاءُ الصَّـــيْدِ فِي الْمِثْلِيَـــةِ
وَهْـــيَ الْمَنَـــاطُ فِي جَـــزَاءِ الصَّـــيْدِ كَمَـــا أَتَـــى فِي الـــنَّصِّ دُونَ قَيْـــدِ

وَكَوْنُـــــهُ شَـــــاةً لِكـــــالْغَزَالِ فَمُـــــدْرَكٌ بِالِاجْتِهَـــــادِ الْعَـــــالِي

وَحَكَّمُــوا الْعُــرْفَ بِهَــذَا الْمَسْــلَكِ وَفِيـــــــهِ دَارُوا دَوَرَانَ الْفَلَـــــــكِ

هَـــذَا وَذَا الْمَسْـــلَكُ لاَ يُطَـــاقُ وَفَهْمُـــهُ فَـــازَتْ بِـــهِ الْحُـــذَّاقُ

وَصَـــــلِّ يَارَبِّ مَـــــعَ السَّـــــلاَمِ عَلَـــى النَّـــبِي فِي الْبَـــدْءِ وَالْخِتَـــامِ

وَآلِـــــهِ وَصَـــــحْبِهِ الأَعْـــــلاَمِ مَـــا اتُّبِعَـــتْ شَـــرِيعَةُ الإِسْـــلاَمِ